کتابخانه مرکزی
سازمان تبلیغات اسلامی
تاریخ ثبت :
شماره ثبت :

۴۴۲

التعرف على القرآن الكريم

المؤلف :
آية الله الشهيد المرتضى المطهري

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

الكتاب: التعرف على القرآن الكريم
المؤلف: آية الله الشهيد مرتضى المطهري
المترجم: ناظم شيرواني
الناشر: منظمة الاعلام الاسلامي ــ قسم العلاقات الدولية
المطبعة: فجرالاسلام ــ طهران
التاريخ: ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ
عددالنسخ المطبوعة: ١٠,٠٠٠ نسخة

چاپ شرکت افست «سهامی عام»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر:

لقد كان الاستاذ الشهيد آية الله المطهري مغرماً بالقرآن، مولعاً بتلاوته تلاوة تفاعل، و تعامل.

ولاغرو فهو تلميذ مدرسة اهل البيت عليهم السلام، مدرسة العقل و العاطفة الواعية المستمدة من معين القرآن الكريم.

و هو بالتالي تلميذ الامام الخميني القائد، و هو من عجنت روحه بحب القرآن، و غاص في اعماقه و استمد منه بعدالنظرة، و قوة العزيمة، وصلابة الموقف، والاطمئنان بالمستقبل الذي وعدالله تعالى به.

و نحن هنا نشهد الاستاذ الشهيد المطهري يعرفنا بنظرة جديدة على بعض الآفاق القرآنية. و قدكان يسعى لتقديم دراسة متكاملة عنها حتى النفس الاخيرمن حياته الطاهرة. واذاكان لم يوفق لتقديمها متكاملة «فيكفيه فخرا» أنه استطاع ان يزرع النظرة السديدة في قلوب طلاب العلوم الدينية، بل فى قلوب شباب جيل الثورة الاسلامية، و يوجد ذلك التيار الفكري الاصيل فى قبال التيارات التي كانت تعصف بشباب الامة وتحاول تخديره وابعاده عن مسيرته الصحيحة، وإلهاءه عن الهدف الاسلامي الثوري الاصيل.

ولئن لاحظنافي هذاالكتاب شيئاً من عدم السبك الكامل فذلك لانه لم يطرح بشكل كتاب و انما بشكل احاديث القيت في

فترات، و نقلت من قبل الآخر ين الى هذا الشكل، ولذا فمن الطبيعى ان لانجدالسبک المطلوب.وقد رجحنا ان يكون هكذا على اي تصرف فيه.

وختاماً؛

فلنعش مع هذه الروح القرآنية الرائعة،ولنعب من نميرها الثر العذب.

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

بسمه تعالى

المقدمة

الكتيب الذي بين يديك حصيلة خمس محاضرات القاها الاستاذ الشهيد آية الله مطهري في جامعة شريف الصناعية عام ١٩٧٣. في ذلك الوقت كان مجتمعنا يشهد نمو كارثة عظيمة، كارثة ناتجة عن الفراغ الايديولوجي وعدم توفر اساس فكري مرصوص. وفي الوقت نفسه كان هناك عدد قليل من كبار المفكرين الذين كانوا يتنبأون بالحادثة قبل وقوعها، و كان عدد قليل منهم يفكر في ايجاد الحلول. في مثل هذه الظروف قرر معلمنا الكبير بالرغم من جميع الصعاب والمشاكل ولامبالاة المجتمع ازاء المناقشات الجدية والأساسية في المجالين الفكري والعقائدي و بالرغم من جميع الاخطار المتوقعة من قبل النظام، النهوض للنضال ضد تلك الكارثة التي كانت تهدد مجتمعنا و طابعه الاسلامي الأصيل.

إن المحاضرات الخمس التي القيت في ذلك العام كانت جزءاً صغيراً من مشروع كبير خطط له الاستاذ الشهيد من أجل عرض عمله الكبير، مشروع إقامة بناء عقائدي ثابت على أساس الفكر الاسلامي السليم، لكن مع بدء الاضطرابات الطلابية في تشرين الثاني من ذلك العام و هجوم حرس الجامعة على قاعات الدرس و بالتالي اغلاق الجامعات، توقف العمل في هذا المشروع بعد القاء عدة محاضرات دوّنت في هذا الكتيب.

التعرف على القرآن» ــ هو الاسم الذي انتخبه الاستاذ لتلك المجموعة من المحاضرات ــ كان مقرراً ان يكون مدخلاً لجملةٍ من البحوث العقائدية العميقة والأساسية ــ التي كانت عبارة عن: الله في القرآن، القرآن في القرآن، الرسول في القرآن، الانسان في القرآن و... الخ بحيث تشكل جميعها مجموعة غنية من المعارف والأفكار المدرجة في هذه الرسالة الالهية الأخيرة والكاملة، مجموعة كان بمستطاعها ان تكون بهيئة سلاح قوى بيد المناضلين المسلمين ليعطوا نضالهم عمقاً وثروةً وأهم من ذلك اصالةً ليتمكنوا بواسطته ان يناضلوا ضد جميع اساليب الخداع و معاقل عبادة الباطل التي كانت تفرض على انسان قرننا الضائع والمتحير باسم الايديولوجية والرسالة، و يخرجوا مرفوعي الرأس و منتصرين من الساحة.

و بالرغم من ان هذا التلميذ الحقيقي لرسالة القرآن واصل العمل في هذا المشروع بعد سنين من توقفه ولحدشهادته، لكن و مع كل الأسف لم تتح للاستاذ الفرصة للقيام بذلك العمل العظيم الذي استأنفه، و في منتصف الطريق ــ في الوقت الذي كانت هذه الشجرة القوية والمثمرة مستعدة لاعطاء الثمار ــ توقف ذهنه الفعال و قلمه القوي عن الفعالية والحركة، ذلك ان السائرين في طريق الباطل و عشاق الظلام والفوضى كانوا لايتحملون رؤية شمس افكاره و يعتقدون ان نجاتهم و راحتهم تتلخص في القضاء على الاستاذ.

اما حصيلة النشاط الدائب للاستاذ خلال الليل والنهار حتى آخر لحظة من حياته، فقد تمثلت بعشرات الآلاف من الاوراق المكتوبة التي أعدّت جميعها، المواد الخام اللازمة لإقامة البناء العظيم الذي كان الاستاذ يفكر به. و ستكون هذه الكتابات التي تنظّم تدريجياً و توضع تحت اختيار عشاق و معجبي الرسالة الاسلامية، مفتاح الطريق الجديد

لدراسة ابعاد الوجوه المتعددة للرسالة التي تبني الانسان و تقرر المصير وسيكون لها دور كبيرٌ في احياء الافكار الاسلامية السليمة.

ومع ان هذا الكتيب غير كامل ولا يحتوي على بحث مفصل، غير انه جيد و مفيد مثل جميع محاضرات الاستاذ الشهيد و افكاره وان ماتم عمله لتنظيم هذا الكتيب كان عبارة عن نقل المحاضرات على الورق مع حذف بعض العبارات المكررة واكمال و تنقيح عبارات أُخرى.

و يؤكد المقدم مع اعترافه بعمله الناقص بان جميع اخطاء و نقائص النص ناتجة عن النقل او من عنده و ان الفائدة المعنوية والروحانية التي ستصيب القارىء من جراء مطالعة هذا الكتيب تنشأ من فكر الاستاذ العميق و معلوماته الغنية ومن ظل العلم الكبير و ايمان الاستاذ القوى.

* * *

الفصل الأول

المعرفة التحليلية للقرآن

الفصل الاول:

المعرفة التحليلية للقرآن

ننوي في هذا الفصل، دراسة محتويات القرآن. ولاننسى اذا اردنا التطرق الى جميع مواضيع القرآن فان الأمر يستغرق وقتا طويلاً، و على هذا الأساس فاننا سنتناول العناوين العامة ثم نتطرق الى جزئياتها.

يتحدث القرآن عن مسائل جمة ويؤكد على بعض المسائل بدرجة كبيرة وعلى مسائل أخرى بدرجة أقل. ومن جملة المسائل التي يتطرق اليها القرآن، مسألة الكون وخالقه. يجب ان نعرف ماهوفهم القرآن لله؟

هل هذاالفهم، فلسفي أم عرفاني؟

وهل ان القرآن بمستوى الكتب الدينية الأخرى مثل التوراة والانجيل أم انه يشبه الرسالات الهندية؟ وهل له اسلوب مستقل في معرفة الله؟

والمسألة الأخرى المطروحة في القرآن، مسألة الكون حيث يلزم تحليل نظرة القرآن حول الكون وهل يعتبر الخلق والكون عبثين ولعبتين او يعتبرهما حقاً؟ وهل يعتبر سير الكون مبنياً على سلسلة من السُنن والنواميس أم يعتبره شاذاً فلايشكل اي شيء شرطاً لشيء آخر؟

ومن جملة المسائل العامة المطروحة في القرآن، مسألة الإنسان حيث يتطلب تحليل نظرة القرآن حول الانسان. هل يتحدث القرآن

بتفاؤل حول الانسان أو ان نظرته سلبية وغير متفائلة تجاهه؟ وهل يعتبر الانسان حقيراً او يقيم له كرامة وعزة؟

والمسألة الأخرى، مسألة المجتمع الانسانى، هل ان القرآن يقيم شخصية واصالة للمجتمع الانسانى او انه يعتبر الفرد اصلا فقط؟ وهل للمجتمع بنظر القرآن، حياة و صوت و تطور وانحطاط أم ان جميع هذه الصفات تختص بالفرد فقط؟ و تطرح في هذا المجال مسألة التاريخ وماهي نظرة القرآن للتاريخ؟ وما هي بنظر القرآن القوى المحركة للتاريخ و نسبة تأثيرالفرد في التاريخ؟

و يطرح القرآن مسائل جمة من جملتها رأي القرآن حول نفسه؟ ثم مسألة النبي في القرآن و كيفية تعريف القرآن للنبي و كذلك كيفية تحدثه معه. والمسألة الأخرى تعريف المؤمن في القرآن و صفات المؤمنين و... الخ . كل واحدة من هذه المسائل العامة لها تشعبات و فروع فعلى سبيل المثال عندما نتدارس الانسان يلزم بالطبع التحدث عن اخلاقه او عندمانتحدث حول المجتمع نرى انفسنا ملزمين بالتحدث عن علاقات الأفراد و مسألة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و مسألة الطبقات الاجتماعية و... و مسائل أخرى.

كيف يعرّف القرآن نفسه

من الافضل عند تحليلنا لفحوى القرآن ان نبدأ من هذه المسألة وهي ان نعرف ماهورأي القرآن حول نفسه وكيف يُعرّف نفسه؟

اول ما يقوله القرآن عن نفسه هو ان هذه الكلمات والعبارات هي كلام الله. و يؤكد القرآن ان النبي لم يكتب القرآن بل انه يبين مانزل عليه باذن الله من الروح المقدسة اوجبرئيل.

اما التوضيح الآخر الذي يعطيه القرآن حول نفسه فيتمثل

بتعريف رسالته التي هي عبارة عن هداية ابناء البشر و ارشادهم للخروج من الظلمات الى النور:

كِتابٌ أَنْزَلْناهُ اليك لِتُخرِجَ الناسَ مِنَ الظُلماتِ الى النُور...

(سورة ابراهيم ــ الآية ١)

و مما لاشك فيه ان الجهالة هي من احدى مصاديق هذه الظلمات والقرآن يخرج البشر من هذه الظلمات الى النور. اما اذا كانت الظلمات تتمثل بالجهالة فقط لكان الفلاسفة قادرين على القيام بهذه المهمة غير ان هناك ظلمات أخرى اخطر من الجهالة حيث يعجز العلم عن مكافحتها ومن جملتها الجشع والغرور وحب النفس و.. الخ التي تُعدّ من الظلمات الفردية والأخلاقية والظلمات الاجتماعية ايضاً كالظلم و التفرقة... الخ. إن كلمة الظلم التي تقابلها بالفارسية كلمة «ستم» مأخوذة من كلمة الظلمة التي تعني نوعاً من الظلم الاجتماعي والمعنوي. و مكافحة هذه الظلمات تكون على عاتق القرآن والكتب السماوية الأخرى، فالقرآن يُخاطب موسى بن عمران قائلاً:

...أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ من الظُلماتِ الى النور...

(سورة ابراهيم ــ الآية ٥)

وهذه الظلمات هي استبداد فرعون واعوانه بينما النور هو نور الحرية والعدالة.

والملاحظة التي أكد عليها المفسرون هي ان القرآن يذكر الظلمات بالجمع مع الألف واللام لتعبر عن الاستغراق و تشمل جميع الظلمات في حين يذكر كلمة النور بالمفرد باعتبار ان طريق الحق واحد لاغير بينما الانحراف والضلالة لهما طرق متعددة*

* ــ مثلاً نقرأ في آية الكرسي:

و بذلک يحددالقرآن هدفه؛ تحطيم قيودالجهل والضلالة والظلم والفساد الاخلاقي والاجتماعي و بعبارة أخرى، ازالة الظلمات و من ثم الارشاد نحوالعدالة والخير والنور.

فهم لغة القرآن:

المسألة الأخرى، مسألة فهم القرآن و تلاوته. يتصور البعض ان المقصود من تلاوة القرآن هو قراءة القرآن بهدف الحصول على الثواب من دون فهم أي شيء من معنى الآيات.هؤلاء يختمون القرآن على الدوام اما اذا سُئِلوا عن ما اذا كانوا يفهمون ما يقرأونه فانهم يعجزون عن الاجابة. إن قراءة القرآن لازمة وضرورية باعتبارها بداية لفهم معاني القرآن لاان تأتي بهدف الحصول على الثواب.

وفهم معاني القرآن، هو الآخر له خصائصه حيث يتطلب اخذها بنظر الاعتبار. وعندمطالعة الكتب يحصل القارئ على سلسلة. من الأفكار الجديدة التي لم تكن موجودة في ذهنه ابداً. و هنا فان عقل و قوة تفكير القارئ هما فقط اللذان يقومان بالفعالية. و فيما يتعلق بالقرآن، يتوجب مطالعته بهدف التعلم والتعليم. يقول القرآن بهذا الصدد:

كِتابٌ أَنْزَلْناهُ اِليکَ مُبارَکٌ لِيَدبروا آياته وَ لِيتذَکَرَ اولوا الألبابِ

(سورة ص ــ الآية ٢٩)

للقرآن وظائف من جملتها التعليم و من هذه الناحية فان مُخاطب القرآن هو العقل حيث يتحدث معه بلغة المنطق والاستدلال. اضافة الى هذه اللغة يملک القرآن لغة أخرى لايتحدث بهامع العقل بل مع القلب و تسمى هذه اللغة بالاحساس. ومن يريد أن يتعرّف على القرآن

← الله ولي الذين آمنوا. يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُلُماتِ الى النور والذين كفرُوا اولياؤهُمْ الطاغوت يُخْرِجُونهم من النور الى الظلماتِ

و يستأنس به يجب ان يكون ملماً بهاتين اللغتين و يستفيد منهما في آن واحد لان فصلهما عن بعضهما يوقع الانسان بالخطأ و يضره.

إن ما نسميه عقلاً، عبارة عن احساس كبير و عميق يتواجد في داخل الانسان و يسمى احيانا بـ «احساس الوجود» اي الاحساس بارتباط الانسان بالوجود المطلق.

ومن يعرف لغة القلب و يخاطب الانسان بها، يحركه من اعماق الوجود و في ذلك الوقت لن يكون الفكر و العقل متأثرين فحسب بل ان جميع وجود الانسان سيكون متأثراً و على سبيل المثال ان جميع انواع الموسيقى لها عامل مشترك الاوهو الاحتكاك بعواطف الانسان، فالموسيقى تثير روح الانسان وتدخله في عالم خاص من الاحساس. و بالطبع يتباين نوع الاثارة والاحساس المتولدين، من موسيقى الى اخرى مثلاً يحتمل ان يكون نوع من الموسيقى مرتبطاً باحساس الشجاعة و البسالة. إذن فهي تتحدث مع الانسان بهذه اللغة. انكم تلاحظون في ساحات الحرب انهم يعزفون الألحان والاناشيد العسكرية ففي بعض الأحيان يكون تأثير هذه الأناشيد او الألحان قوياً الى درجة يشجع الجندي الذي لايخرج من موضعه خوفاً من العدو، ان يخرج من ذلك الموضع و يتقدم نحو العدو ليحاربه. اما النوع الآخرمن الموسيقى فيحتمل ان يكون مختصاً بحس الشهوة و مثل هذه الموسيقى تأخذ بيدالانسان نحو الابتذال والسقوط والانحطاط و يلاحظ ان مثل هذا النوع من الموسيقى له تأثير كبير و يحتمل ان لايكون بمستطاع أي شيء آخر أن يؤثر بهذه الدرجة في تحطيم جدران الكرامة والاخلاق.

وفيمايتعلق بسائرالغرائزوالاحاسيس ايضاً، يمكن عند التحدث بهذه اللغة بواسطة الموسيقى او بأية وسيلة أخرى، السيطرة عليها تماماً.

ومن اروع غرائز واحاسيس الانسان، الحس الديني وفطرة

الاتجاه الى الله. والقرآن يهتم بهذا الحس العظيم والشريف *

القرآن يوصي بتلاوته بلحه لطيف وجميل وهو يتحدث مع فطرة

* قيلت اشياء كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها حول هذا الحس الديني ونورد باختصار اقوال اثنين من المفكرين العالميين، تتعلق الاولى منها بالعالم «انشتاين» الذي يتناول المذهب في احدى مقالاته ويقول؛ كانت هناك ثلاثة انواع من المذاهب في العالم هي

١ ــ مذهب الخوف: اي مذهب جماعة اعتنقت المذهب على اثر مخاوفها من الطبيعة والمحيط.

٢ ــ مذهب الاخلاق: هدفه مذهبي ويستند الى المصالح الاخلاقية.

ثم يتحدث عن مذهب آخر يسميه ب«مذهب الوجود». هذا التعبير يشبه تعبيرنا حول القلب. يعتقد انشتاين ان هذا المذهب يريد في الواقع ان يقول؛

يحصل الانسان على حالة معنوية وروحية اذا ماخرج وتحرر من نطاق نفسه المحدود والمحاط بالآمال والاحلام الحقيرة والصغيرة والمنفصل عن الآخرين والتحرر كذلك من عالم الوجود الطبيعي الذي يشكل حصاراً حوله. وفي ذلك الوقت يبدأ النظر الى مجموع الوجود ويرى الوجود حقيقة واحدة ويرى بوضوح الروائع وانماط العظمة القابعة خلف الظواهر ويتذكر حقارته وتفاهته ثم يرغب في الاتصال بمجموع الوجود. وتعبير انشتاين هذا يذكرنا برواية هُمام الذي سأل امير المؤمنين(ع) عن صفات المؤمن فاعطاه الامام اجابة قصيرة ومقنعة حيث قال:

يا هُمام إتق الله واحسن إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

«نهج البلاغة ــ الخطبة ١٨٣»

غير ان هُماماً لم يقتنع بهذه الاجابة وطلب توضيحات أخرى مثلاً سأل عن الحياة والعبادة وكيفية قضاء الأيام والليالي وآداب المعاشرة و.. الخ. لذلك تطرق الامام الى صفات المؤمن ورسم ١٣٠ خطاً من خطوط وجوه المتقين ومن جملة ماقال:

لولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في ابدانهم طرفة عين.

وهذه هي نفس الحالة التي يشير اليها انشتاين قائلاً: ان الانسان المذهبي يعتبر وجوده نوعاً من السجن المحاصر لانه يريد ان يطير من قفص الجسم ويرى الوجود كله ككتلة واحدة. هذه الحقيقة قد تجلت بشكل اوسع وافضل في كلمات امير المؤمنين(ع). برأي الامام علي(ع) كأنّ المؤمن جمع كل الوجود في جسمه المادي، ولهذا السبب يغادر قالبه ويحرر روحه. يقال ان هُماماً عندما انهى الامام حديثه، اطلق صرخة من اعماقه وفرغ القالب.

وفي مجال حس الانسان المعنوي يسرد الشاعر اقبال لاهوري حديثاً شيقاً فهو يقول؛

الانسان الالهية بهذه النغمة السماوية * ثم انه يستعمل لغتين لوصف نفسه ففي بعض الأحيان يعتبر نفسه كتاب التفكير والمنطق والاستدلال و في احيان أخرى كتاب الاحساس والحب، و بعبارة أخرى ان القرآن ليس غذاء العقل والفكر فحسب وانما غذاء الروح ايضاً.

يؤكد القرآن بدرجة كبيرة على موسيقيته الخاصة، تلك الموسيقى التي تؤثر اكثر من أية موسيقى أخرى في اثارة احاسيس الانسان العميقة والنبيلة، و يأمر المؤمنين ان يقضوا بعض الليل في تلاوة القرآن و يقرأوا القرآن في صلاتهم عند توجههم الى الله. يقول القرآن مخاطباً النبي (ص):

يا ايها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه او انقص منه قليلا، او زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً.

«سورة المزمل ــ الآيات ١ ــ ٤»

والترتيل، يعني قراءة القرآن لكن ليس بسرعة بحيث لا يتم فهم الكلمات، او ببطء، بحيث تنعدم الصلة بين العبارات. يقول إقرأوا القرآن بتأن مع فهم الآيات و يقول في الآيات اللاحقة.

ليس هناك اي سرولغز في هذا الكلام وهو ان الدعاء يعتبر وسيلة الاشراق النفسي والعمل الحياتي والطبيعي و بواسطته تكشف جزيرة شخصيتنا الصغيرة، موقعها في مجموع اكبر من الحياة. وهناك عبارة لوليام جيمز بهذا الصدد؛ دافع الدعاء هو نتيجة ضرورية لهذا الأمر و هو ان اعمق الارادات الاختيارية والعملية لكل شخص يعتبر نوعاً من الارادات الاجتماعية و مع ذلك فان الانسان يستطيع ان يجد مصائبه الكاملة في عالم افكاره فقط و ان اكثر الناس يرجعون في قلوبهم اليه سواء باستمرار او عن طريق الصدفة واحقرفردعلى وجه الكرة الارضية يحس بهذا التصور السامي، انه شخص حقيقي و ذوقيمة. يحتمل ان يكون هناك تباين بين الناس من حيث درجات التأثر. وهذا التصور يشكل لبعض الناس دون غيرهم الجزء الهام من الوعي الذاتي مثل هؤلاء الناس يحتمل ان يكونوا اكثر الناس التزاماً بالدين، لكنني على ثقة من ان الذين يدّعون افتقارهم الكلي لذلك، لايخدعون الا انفسهم ذلك انهم يلتزمون بالدين الى حدما.

* كان الائمة (ع) يقرأون القرآن بصوت متناغم. بحيث ان المارّة الذين كانوا يسمعون ذلك الصوت، كانوا يتوقفون دون اختيار و ينهمكون بالبكاء.

... فاقرأوا ماتيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يُقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ماتيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضاً حسنا.... «سورة المزمل ــ الآية ٢٠»

لقد كانت موسيقى القرآن عند المسلمين، تحث على النشاط واكتساب القدرة الروحية والاخلاص والصفاء الباطني، وان نداء القرآن السماوي جعل في اقل مدة من اناس شبه الجزيرة العربية المتوحشين، مؤمنين صامدين استطاعوا ان يتحدوا اكبر قوى عصرهم و يقضوا عليها. و كان المسلمون لاينظرون الى القرآن ككتاب دراسي و تعليمي فقط بل كغذاء روحي ومصدر لكسب القوة وازدياد الايمان. كانوا في الليل يقرأون القرآن باخلاص * و يبتهلون الى الله، وكانوا في النهار يشنون مثل الاسود هجماتهم على العدو فالقرآن كان يتوقع هذا الشيء من المؤمنين، و يقول في آية مخاطباً النبي:

ولا تُطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً

«سورة الفرقان ــ الآية ٥٢»

وحياة النبي، مصداق لهذا الكلام. انه انتفض وحده من دون حمايةٍ ماسكاً القرآن بيده، لكن هذا القرآن اصبح كل شيء له، كان يُعدّ له الجنود والاسلحة والقوة و يجبر العدو ان يخضع و يستسلم له وكان كذلك يجبر افراد العدو نحو النبي و يجبرهم على الاستسلام له، و بذلك كان يُنفذ وعود الله الصادقة *

* قال الامام زين العابدين (ع) في دعاء علّمه ليُقرأ بعد ختم القرآن... واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنساً.

* وفي زمننا الراهن ايضاً، تحقق هذا الوعد الالٰهي الصادق للمرة الأخرى عندما قام رجل من سلالة النبي مثّل جده بتوجيه الضربات المهلكة لجند الكفر و قوى الباطل معتمداً في ذلك العمل على القرآن والايمان فقط. الناشر

عند ما يصف القرآن لغته، بلغة القلب فهو يقصد بهذا الكلام، ذلك القلب الذي يعتزم صقله و تنقيته واثارته بآياته. **هذه اللغة هي** غير لغة الموسيقى التي تغذي الشهوات الانسانية احياناً و غير لغة الألحان العسكرية والأناشيد الحربية التي تُعزف لتقوية روح البسالة بل هي تلك اللغة التي تصنع من الاعراب البدو، مجاهدين قيل في حقهم: **حملوا بصائرهم على اسيافهم.** هؤلاء كانوا لايفكرون بالمسائل الفردية والمصالح الشخصية. ومع انهم لم يكونوا معصومين و يقعون في الأخطاء، كانوا من جملة الذين يُطلق عليهم الكلام التالي، «**قائم الليل و صائم النهار**». كانوا في جميع اللحظات على ارتباط مع الوجود حيث كانوا يؤدون الفرائض الدينية في الليل و يجاهدون في النهار[1].

و يؤكد القرآن على خاصيته هذه وهي انه كتاب القلب والروح، كتاب يثير الارواح و يبكي العيون و يرجّف القلوب . هذا الأمر ينطبق على اهل الكتاب ايضاً:

الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون، واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا...«سورة القصص ــ الآية ٥٢، ٥٣»

و يؤكد ايضاً في آية أخرى ان بعض اهل الكتاب، اي المسيحيين هم أقرب الى المسلمين من اليهود والمشركين[2]. ثم يصف

١ ــ يذكر اميرالمؤمنين(ع) في الخطبة ١٩٣ المعروفة بخطبة المتقين من نهج البلاغة، صفات المتقين. و بعد ان يتطرق الى تصر فاتهم و اقوالهم يصف بعض حالات هؤلاء في الليل وعلى حد قول الشاعر الايراني سعدى يصف ليل رجال الله و يقول: اما الليل فصافون اقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا.

يحزنون به انفسهم و يستشيرون به دواء دائهم. فاذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً، وظنوا انها نصب اعينهم. اذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها بمسامع قلوبهم وظنوا أنها زفير جهنم و شهيقها.

٢ ــ لتجدن اشدالناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا، الذين قالوا انانصارى. «سورة المائدة ــ الآية ٨٢»

النصارى الذين يؤمنون حال سماعهم القرآن بقوله:

واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوامن الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين.

«سورة المائدة ــ الآية ٨٣)

و في مكان آخر، هكذا يصف المؤمنين عندما يتحدث عنهم بالذات:

الله نزّل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله.

«سورة الزمر ــ الآية ٢٣»

يبين القرآن في هذه الآيات الأخرى انه ليس كتابا علميا و تحليليا فحسب بل انه في نفس الوقت الذي يستخدم فيه المنطق والاستدلال، يتحدث مع احاسيس واذواق ولطائف ارواح البشر و يجعلها تتأثر.

الذين يخاطبهم القرآن

من جملة المسائل التي يتطلب استنباطها من القرآن عند المعرفة التحليلية، تعيين و تحديد الذين يخاطبهم القرآن. لقدوردت في القرآن عبارات كثيرة مشابهة لعبارات، **هدى للمتقين، هدى و بشرى للمؤمنين ولينذر من كان حياً.** وهنايمكن ان نسأل بان الهداية للمتقين غير ضرورية للمتقين لانهم متقون. من جهة أخرى نرى ان القرآن يعرف نفسه هكذا:

إن هوالا ذكر للعالمين و لتعلمن نبأه بعد حين *.

«سورة ص ــ الآية ٨٧و٨٨»

* هذه الآية من أعجب آيات القرآن، عند ما نزلت كان النبي في مكة يتحدث الى اهالى احدى القرى. وكان من (الباعث على السخرية) ان يقول شخص باطمئنان؛ انكم

إذن، فهل هذا الكتاب لجميع العالم أم انه للمؤمنين فقط؟

وفي آية أخرى يخاطب الباري سبحانه و تعالى، النبي قائلاً:

وما ارسلناك الا رحمة للعالمين «سورة الانبياء ــ الآية ١٠٧»

وسنعطي في موضوع «التاريخ في القرآن» توضيحاً مفصلاً عن هذه المسألة، لكن يلزم هنا القول بالاجمال ان القرآن عندما يخاطب جميع افراد العالم في آياته، يريد ان يقول انه ليس ملكاً لقوم اوجماعة معينة. و من يتجه نحو القرآن يلاقي النجاة. اما في الآيات التي يصف القرآن نفسه فيها ككتاب هداية للمؤمنين والمتقين، يريد ان يقول من هم الذين سيتوجهون في النهاية نحوالقرآن وماهي الفئات التي ستبتعدعنه. والقرآن لايتحدث عن قوم او قبيلة معينة بمثابة محبيه اومؤيديه. لايقول انه ملك لهؤلاء القوم أو أولئك، فالقرآن خلافاً لجميع الأفكارلايؤكد مطلقاً على مصالح طبقة خاصة، على سبيل المثال لايقول انه جاء لضمان مصالح الطبقة الفلانية فقط. و ايضاً لايقول ان هدفه الوحيد يتمثل بالدفاع عن الطبقة العاملة او طبقة الفلاحين. وحول نفسه يؤكد بانه كتاب يرمي الى إقامة العدل. و فيما يتعلق بالانبياء يقول:

وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

«سورة الحديد ــ الآية ٢٥»

إذن، فالقرآن يريد القسط والعدل للمجتمع الانساني ككل وليس لهذه الطبقة اوتلك اولأولئك القوم وتلك القبيلة. وهو خلافاً للأفكار الأخرى مثل النازية لايكسب الناس الى جانبه من خلال تأكيده على تعصبات هؤلاء، وايضاً خلافاً لبعض الافكار الأخرى مثل الفكرالماركسي لايعتمدعلى مطامع الناس ولايحركهم عن طريق

ستسمعون بعد حين بنبأ هذه الآية. ستسمعون ماذا سيفعل هذا الكتاب في العالم خلال فترة قصيرة.

مصالحهم *، لانه مثلمايقيم اصالة لوجدان الانسان العقلي، يقيم له اصالة وجدانية و فطر ية ايضاً. و يحرك الناس على اساس فطرة طلب الحق والعدل، ولهذا لاتختص رسالته بطبقة العمال أو الفلاحين او المحرومين والمستضعفين. القرآن يحث الظالم والمظلوم على الرجوع الى طريق الحق والنبي موسى اوصل بدوره نداءالله الى بني اسرائيل والى فرعون كذلك وطلب منهم ان يؤمنوا بالله و يسيروا في طر يقه. اما النبي محمد فقد عرض رسالة الله على زعماء قر يش وعلى ابي ذروعمار ايضاً. و يورد القرآن نماذج متعددة من انتفاض الفرد على نفسه والعودة من طر يق الضلالة والفساد (التوبة). و بالطبع يعلم القرآن ان عودة الذين يعيشون في نعيم ورخاء اصعب بدرجات من عودة المحرومين والمستضعفين.

الفئة الثانية، تسير في طر يق العدالة استناداً الى ضرورة الأمر، بينما الأولى يجب في بادىء الأمر ان تغض النظر عن المصالح الشخصية والطبقية وتدوس باقدامها، ميولها و رغباتها.

يقول القرآن ان المتمسكين به لهم ارواح طاهرة ونقية، وهؤلاء انفتحوا على القرآن انطلاقاً من فطرتهم في طلب الحقيقة والعدل التي هي فطرة كل انسان وليس بدافع من المصالح والميول المادية والدنيو ية.

* ذلك ان الحق والعدل للمتمسكين في تلك الحالة سيكونان بلا هدف لان تحقيق المصالح وارضاء الرغبات سيكونان هدفاً.